

ح ٧

٦- في أنّ معنى البسملة قرن للقول والفعل كله باسم الله سبحانه وليس ابتداء

بالاسم فحسب

الإيضاح السادس: أنّ البسملة من حيث موقعها تقع في بداية الكلام، إلا أنّ

محتواها في الحقيقة هو قرن الفعل والقول كله باسم الله سبحانه، وهذا مما يزيد معنى الأدب في البسملة.

وينبه على ذلك أمور:

١- ما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته (عليهم السلام)

في من نسي ذكر الله تعالى في أول الطعام أن يقول: (بسم الله على أوله وآخره)، ففي

الحديث الصحيح الذي رواه داوود بن فرقد عن أبي عبد الله (عليه السلام) -

وحديثه في قوة المرفوع عن النبي (صلى الله عليه وآله) كما ذكره (عليه السلام) في

نصوص عامة - في حديث قال: (قلت: فإن نسيت أن أسمي، قال: تقول: بسم الله

على أوله وآخره)^(١).

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: (إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل

بسم الله، فإن نسي في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره)^(٢).

(١) الكافي: ٢٩٥/٦ ح: ٢٠ والمحاسن: ٤٣٩/٢.

(٢) سنن الترمذي: ١٩٠/٣. وقال: حديث حسن صحيح.

فالملاحظ أنه لم يؤمر الناسي للبسملة في بداية أكل الطعام بأن يستدرك ويذكرها حيث تذكر، بل أمر بأن يقرنها بأول الأكل وآخره، والمقصود بالأول الجزء الفائت وبآخره الجزء الباقي حتى نهايته، فجعلت البسملة على وجه يستوعب الفعل بتمامه.

٢- التأمل في ما تنطوي عليه نفس الإنسان عند البسملة فإنه يعطي هذا المعنى، فمن يبدأ رسالته باسم الله سبحانه - مثلاً - فهو يريد أن يقرن هذه الرسالة باسم الله سبحانه، لا أول الرسالة فحسب، ومن يبدأ ذبح الحيوان باسم الله سبحانه فهو يريد أن يقرن الذبح كعمل باسمه سبحانه لا بدايته، ومن يبدأ ركوبه للسيارة باسم الله سبحانه فإنه يقصد أن يقرن هذا الركوب باسمه سبحانه، وهذا مما يشهد به التأمل الصادق، ولذلك رجح بعض المفسرين أن المعنى المقدر في البسملة هو القراءة دون الابتداء، كما سيأتي في البحث اللغوي، وهذا يوضح الصلة بين هذا الموضوع والبعد اللغوي للبسملة.

٣- التأمل في الأساس الذي تبتني عليه البسملة، فقد تقدم أن الابتداء باسم الله تعالى يرمز إلى حقيقة كون الفعل بمدد الله سبحانه وتيسيره بما أنعم به من جوارح وأشياء ينتفع بها الإنسان، ومن المعلوم أن هذه صفة الفعل كله، أوله وآخره جميعاً.

٤- إن الإتيان بالبسملة ينطوي على معنى التبرك - أي طلب البركة بذكر اسم الله سبحانه من جهة بركة اسمه سبحانه كما قال عز من قائل: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ

ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١﴾ - وهذا يلائم النظر إلى قرن الفعل والقول كله بهذا الاسم للبركة في تمامه.

إذاً: تبين أن البسملة وإن وقعت في بداية القول أو الفعل لكنّها تظل على جميعه وتقرنه كله باسم الله سبحانه، وليس الإتيان بها في أوله إلاّ لأنّه هو الأسلوب الملائم لقرن الفعل والقول من أوله إلى آخره باسم الله سبحانه.